بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نحاول فى هذا البحث أن نتبين فهم النص القرآنى وتذوقه من خلال ما كتبه أحد علماء الإسلام فى القرن الثامن الهجرى:

وهو الإمام بدر الدين محمد ابن عبد الله الزركشى (توفى سنة ٧٩٤هـ).

فلقد كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول ﷺ وصحابته، كما ظل محل اهتمام علماء الأمة حتى الآن، وقد اتخذت هذه العناية أشكالاً متعددة، فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه، وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وثالثة إلى كتابته ورسمه، ورابعة إلى تفسيره وشرحه وغير ذلك، ولقد أفرد العلماء كل ناحية من هذه النواحى بالبحث والتأليف ووضعوا من أجلها العلوم، ودونوا الكتب، وقطعوا فى هذا الميدان الواسع أشواطاً بعيدة، حتى زخرت المكتبة الإسلامية بتراث مجيد من آثار سلفنا الصالح وعلمائنا الأعلام، ذلك التراث الذى دار معظمه حول النص القرآنى، الذى قال عنه سهل بن عبد الله: "لو أعطى العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله فى آية من كتابه، لأنه كلام الله وكلام الله صفته، وكما أنه ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله عليه، وكلام الله غير مخلوق، ولا تبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثه مخلوقه"(١).

ولكى نتبين هذا الفهم وهذا التذوق حاولنا أن نرصد حركة التأليف فى علوم القرآن من القرن الثالث الهجرى حتى نهاية القرن الثامن الهجرى، لنقف على فهم وتذوق عالم من

١- الزركشى: البرهان فى علوم القرآن ج١ ص٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة بيروت.

علماء الإسلام فى القرن الثامن الهجرى الذين كان لهم تأثيرهم فيمن جاء بعدهم من دارسى الكتاب الكريم.

ولقد كان وراء اختيارى لموضوع النص القرآنى عند الزركشى بين الفهم والتذوق أسباب منها:

١- أن اهتمام الدراسين- على مدار الفكر الإسلامى- كان موجهاً نحو علماء الإسلام غير المصريين، لذلك أردت أن أنبه إلى جهد عالم من العلماء المصريين الذين أسهموا إسهاماً كبيراً فى الدراسات القرآنية.

٢- أن ما توصل إليه الزركشى من ابتكاره لمنهج فى العرض لعلوم القرآن جدير بأن نقف عليه بالقياس إلى ما سبقه من دراسات فى علوم القرآن.

٣- أن ما جاء بكتاب البرهان من علوم القرآن يعد منهلاً نهل منه العلماء الذين كتبوا فى علوم القرآن بعد الزركشى.

٤- جهده فى استقصاء علوم القرآن إذ عد منها سبعة وأربعين نوعاً.

٥- حفظه لمصادر هامة من مصادر التراث العربى.

ولقد اقتضت ضرورة المنهج أن تقسم الدراسة إلى خمسة فصول وخاتمة.

يتناول الفصل الأول: مقدمات كتب التفسير فى علوم القرآن:

فبينت فيه ما جاء من علوم القرآن بمقدمات أشهر كتب التفسير ذات الاتجاهات المختلفة فى أزمنة مختلفة هى:

١- **جامع البيان فى تأويل آى القرآن**: لابن جرير الطبرى "توفى ٣١٠هـ" وهو يمثل التفسير بالمأثور فى نهاية القرن الثالث الهجرى وأوائل القرن الرابع الهجرى.

٢- **الكشاف**: لابن جار الله الزمخشرى "توفى ٥٣٨هـ"، وهو يمثل الجانب المعتزلى فى بداية القرن السادس الهجرى.

٣- **الجامع لأحكام القرآن**: لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى "توفى ٦٧١هـ"، وهو يمثل الجانب الفقهى فى القرن السابع الهجرى.

٤- **التسهيل لعلوم التنزيل**: لابن جزى الكلبى الغرناطى "توفى ٧٤١هـ" وهو يمثل ما آل إليه التفسير من الاختصار فى القرن الثامن الهجرى فى المغرب.

وبينت فيه ما اتفق فى مناقشته أصحاب تلك التفاسير وما انفرد به كل منهم ثم وضحت المنهج الغالب على كل تفسير منها وما آل إليه التفسير فى القرن الثامن من الاختصار نتيجة للأحداث التى أصابت العالم الإسلامى والتى ظهرت جلية ابتداء من القرن السابع إلى النهضة الحديثة، وفى تلك الفترة أصبحت العلوم ترديداً لما فات أو اختصاراً له(١).

ويتناول الفصل الثانى: كتب علوم القرآن:

بينت فيه فضل علماء التفسير بما أفردوه من مقدمات لعلوم القرآن على من ألف فى علوم القرآن مجتمعة،وبينت فيه أن من ألف فى علوم القرآن المفردة كثير لا حصر لهم وحددت أن الذى يهمنا فى هذا الفصل إنما هو من ألف فى علوم القرآن مجتمعة وبينت أن البداية الحقيقية للتأليف فى علوم القرآن مجتمعة لم تكن فى أوائل القرن الرابع الهجرى بمؤلف ابن الأنبارى "ت٣٢٨هـ" عجائب علوم القرآن، حيث أثبت البحث أن كتاب عجائب علوم القرآن، وهو فى الأصل كتاب فنون الفنان فى عجائب علوم القرآن لابن الجوزى "ت٥٩٧هـ"، وإنما كانت بما وصل إلى أيدينا من كتب ألفت فى علوم القرآن

١- د. عفت الشرقانى: قضايا إنسانية فى أعمال المفسرين ص٧٤.

مجتمعة- بمؤلف نكت الانتصار لنقل القرآن لأبى بكر الباقلانى "ت٤٠٣هـ"، وبداية من الباقلاني حددت الكتب التى ألفت فى علوم القرآن مجتمعة حتى عصر الزركشى وحصرتها فى أربعة كتب، بينت ما جاء بها من علوم القرآن وما اتفق فى مناقشته أصحابها وما انفرد به كل منهم لنقف على أهم ما وصل إليه التأليف حتى القرن الثامن.

ويتعرض الفصل الثالث: لمصادر الزركشى وبيان قيمتها:

وفيه بينت أهم المصادر التى استقى الزركشى منها مادة كتابه البرهان وحاولت فى هذا الفصل أن أبين مكونات ثقافة الزركشى وأرتب مصادره حسب كل فن ورد فى كتابه بعد أن بينت المخطوط والمطبوع وما لم نقف عليه منها.

ويدرس الفصل الرابع: أساليب الزركشى فى فهم النص القرآنى:

وقسمت هذا الفصل: أربعة أقسام:

أ- **المنهج العام الذى سلكه الزركشى فى التأليف**: خصصت له جدولاً بينت فيه فهمه لكل علم وفوائد معرفته ومن صنف فيه وقال به وأجريت ذلك على جميع الأنواع التى ذكرها الزركشى فى كتابه البرهان.

ب- **أهم السمات الفكرية لفهم الزركشى لعلوم القرآن** من حيث ابتكاره لمنهج فى العرض لم يعهد عند من سبقه من دارسى القرآن الكريم، وجهده فى استقصاء علوم القرآن وعدم تعصبه لمذهب فقهى معين أو اتجاه تفسيرى أو مذهب كلامى أو غير ذلك.

ج- **أساليب الزركشى فى دراسة علوم القرآن**: وبينت فيه فهم الزركشى لكل علم من تلك العلوم وأنها ضرورية للمفسر.

د- **أساليب الزركشى فى فهم النص القرآنى**: بينت فيه كيف فهم الزركشى النص القرآنى، وطبق تلك العلوم.

ويتناول الفصل الخامس: معالجات الزركشى البلاغية للنص القرآنى:

بينت فيه معرفة إعجاز القرآن عند الزركشى وجعلته مدخلاً لمعالجات الزركشى البلاغية للنص القرآنى من خلال تذوقه، وهو يرى أن المفسر لابد أن يحيط بعلوم البلاغة الثلاثة، حيث حدد تلك العلوم وبينها، وعلى الرغم من أنه فى معالجاته البلاغية لم يفصل بينها بل جعل أغلبها تحت اسم أساليب القرآن وفنونه البليغة، وجرياً وراء ما انتهى إليه الدرس البلاغى من تقسيم تلك الأساليب إلى علوم ثلاثة لذلك ارتأيتِ أن افرد لكل علم مباحث خاصة به.

فأفردت لعلم المعانى قسماً وبينت فيه ما يندرج تحته من أنواع وقسماً لعلم البيان وبينت فيه ما يندرج تحته من أنواع، وقسماً ثالثاً لعلم البديع وبينت فيه ما يندرج تحته من أنواع.

وأثبت فى الخاتمة نتائج هذه الدراسة.

والله أسال أن يكون علمنا خالصاً له، فإنه نعم المولى ونعم النصير.

والله الموفق وعليه قصد السبيل.

د/ محمد محمد عثمان يوسف